التعامل مع غير المسلمين

"رؤية اسلامية،وواقع تاريخي"

بحث

مقدم الى ندوة تطور العلوم الفقهيه في عمان

في دورتها الثانية عشرة بمسقط

في الفترة من ٦-٩ابرايل ٢٠١٣م

اعده:

احمد بن سعود السيابي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،أما بعد .

فهذا بحث عنوانه التعامل مع غير المسلمين،رؤية إسلامية،وواقع تاريخي،أعددته لندوة تطور العلوم الفقهيه في عمان،في دورتها الثانية عشرة التي هي بعنوان"فقه رؤية العالم والعيش فيه المذاهب الفقهية والتجارب المعاصرة)) .

وهذا البحث يناقش العلاقة الإسلامية مع غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم،وقد جعلته في أربعة محاور وخاتمة وهي:-

المحور الاول : نظرة إسلامية عامة الى غير المسلمين.

المحور الثاني: التعامل مع اليهود .

المحور الثالث: التعامل مع المسيحين.

المحور الرابع :التعامل مع المجوس والهندوس وآخرين.

الخاتمة: وفيها بعض الاحكام الاخرى.

والله ولي التوفيق

احمد بن سعود السيابي

المحور الاول

نظرة إسلامية عامة الى غير المسلمين

بعث الله نبيه ورسوله محمدا عليه وسلم الى كافة الناس بشيرا ونذيرا ليحي من يحي على بينة من الأمر،ويهلك من يهلك على بينة من الأمر،((**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)) ﴿سبأ/٢٨﴾ ،مبشرا برحمة الله وثوابه لمن يستجيب لنداء الاسلام وداعي الاسلام،ومنذرا بعقوبته وعذابه لمن لا يستجيب الى النداء الرباني،وأنزل معه الكتاب وهو القرآن الكريم بالحق والعدل.

وجعل الله عز وجل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين،رحمة لهذا الوجود من إنسه وجنه وشجره ودوابه،وحجره ومدره،((**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**)) ﴿الأنبياء/١٠٧﴾ .

وقد خص الله تعالى في قرآنه أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى بنداءاته المتكررة،كقوله تعالى((**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿المائدة/١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿المائدة/١٦﴾** .

وقوله عز من قائل((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) . ﴿المائدة/١٩﴾ .

وقد أطلق الإسلام على اليهود والنصارى ،بأنهم أهل الكتاب اعترافا منه بما كانوا عليه من دين إلهي كرسالة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام وما كان عندهم من كتب ربانية التوراة والإنجيل،بغض النظر عن تحريفهم إياها ،وذلك لإشعارهم باقترابهم من الإسلام،واقتراب الإسلام منهم،ولا شك ان إطلاق مصطلح أهل الكتاب على اليهود والنصارى فيه خصوصية لهم،لا توجد لغيرهم من أصحاب الديانات الاخرى، لذلك خصهم الاسلام بأحكام تقربهم من المسلمين وتقرب المسلمين إليهم،كالقول بطهارتهم وأكل طعامهم وذبائحهم وتزوج نسائهم وغير ذلك من الاحكام الجميلة .

ولم يفت الاسلام أن ينظر نظرته الرحيمة الى أصحاب الديانات الاخرى من غير اهل الكتاب .

ومن الانصاف جيدا أن يتشدد الاسلام تجاه مشركي العرب بأن لا يقبل منهم إلا الدخول في الإسلام،أو يوجه إليهم الحكم بالقتل،وذلك على اعتبار أن الله تعالى اختارهم لحمل رسالة الاسلام الى الناس،وجعل فيهم النبوة بان بعث محمدا صلى الله عليه وسلم منهم،واذا امتنعوا عن قبول الاسلام،ورفضوا الدخول فيه،فغيرهم أحرى أن يتخلف عنه.

أما مشركو العجم،أو وثنيو العجم[1]فلم يكن الاسلام تجاههم بتلك الشدة بل اكتفى منهم بدفع الجزية مقابل الحماية الاسلامية لهم.

وعلى العموم فان الاسلام لم يناصب أحدا من البشرية العداء،بل كانت نظرته إليهم نظرة رحمة ورأفة وشفقة،على اعتبار أنهم شركاء في الإنسانية،والنوع البشري،طالما أنهم لم يناصبوا الاسلام والمسلمين العداء وافتعال الحروب وأعمال القتل،وهو ما يؤكده القرآن الكريم في توجيهه للمسلمين تجاه غيرهم،اذ يقول الله عز وجل((**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿الممتحنة/٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿الممتحنة/٩﴾**.وهاتان الآيتان هما الأصل الأصيل في التعامل مع الآخر غير المسلمين،فالله تعالى لا ينهى المسلمين أن يعاملوا غيرهم بالمعروف والعدل والبر والإحسان طالما أنهم لم يدخلوا معهم في حروب،ولم يواجهوهم بالعدوان،ولم يقوموا بالاعتداء على المسلمين في أنفسهم وأموالهم ظلما وعدوانا، والظاهر أن عدم نهي المسلمين عن فعل البر والقسط والمعروف حيال غيرهم يقتضى الأمر بفعل ذلك،من باب مفهوم المخالفة على حد القول القائل ما من كلام إلا وله مفهوم.

(١) تقسيم البشر الى عرب وعجم هو تعبير قرآني،أي ما عدا العرب فهم عجم،((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)) {فصلت/٤٤}

وقد استنبط الامام ابن بركة من الآيتين الشريفتين جواز مصافحة أهل الذمة،وعيادة مرضاهم وبدءهم بالسلام ومخاطبتهم بالاسلوب الراقي الجميل،مالم يخرج الأمر عن الوضع الطبيعي الاعتيادي المألوف بين الناس.[1]

ومما أخذه الله ميثاقا من بني اسرائيل وقصه علينا على جهة التشريع أن يقولوا للناس حسنا،حيث يقول عز وجل((**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً**)) {البقرة/٨٣}

وهذا من باب أن شرع من قبلنا شرع لنا اذا قصه الله علينا على جهة التشريع.[1]

ومن المعلوم ان الخطاب القرآني بالمؤمنين يتوجه الى المسلمين،أما خطابه بالناس فيتوجه إلى جميع أفراد البشر،وقولوا للناس حسنا،أي لجميع الناس.

والاحاديث النبوية في ذلك كثيرة،ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل أو لأبي ذر:اتق الله حيثما ما كنت،وأتبع السيئة الحسنة تمحها،وخالق الناس بخلق حسن[2].

ويدخل في المعاملة الحسنة من المسلمين لغيرهم،ما كان يعامل به العمانيون التجار الغير مسلمين الذين كانوا يأتون من بلدانهم غير الاسلامية،فان أهل عمان كانوا يأخذون

---

(١) الجامع،ج١،ص ٢٢٦.

(١) هو أحد الاقول الأصولية الثلاثة،وهي:هل شرع من قتيلنا شرع لنا اذا لم ينسخ؟ قيل شرع لنا مطلقا،وقيل ليس شرعا لنا مطلقا، وقيل شرع لنا اذا قصه الله علينا على جهة التشريع،وهذا الذي رجحه الامامان الكبيران ،محمد أطفيش ونورالدين السالمي ،انظر،تيسير التفسير للامام اطفيش،ج٢، ص٢٧ تحقيق أبراهيم طلاي طبعة الجزائر، وطلعة الشمس للامام السالمي،تحقيق عمر القيام ج٢، ص٩٦.

(٢) رواه أحمد والحاكم والبيهقي.

عليهم مثل ما تأخذ حكوماتهم على المسلمين من رسوم جمركية،من باب المعاملة بالمثل من غير زيادة[٣] .

ومن هذه المنطلقات تعامل الاسلام مع جميع الناس على مختلف طوائفهم وأطيافهم،وهو ما سنراه في المحاور و الفقرات التالية.

المحور الثاني
التعامل مع اليهود

اليهود في المدينة.

كان التعامل الاسلامي اليهودي بدأ في المدينة المنورة بعيد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها ،وكان اليهود قد انتقل جزء منهم الى المدينة،وكانت تسمى يثرب،بعد أن غزاهم بختنصر البابلي (سنة ٥٨٧ قبل الميلاد) وقضى على مملكتهم ومزقهم وشرّد بهم في البلاد وخرب بيت المقدس،ونزلوا في أماكن متفرقة من جزيرة العرب ونزل قسم كبير منهم في يثرب (المدينة المنورة)وقد كان يهود بني قينقاع هم أول من سكن يثرب،ثم تكاثروا بها ،وبنوا بها الآطام فقد كان لهم حين الهجرة النبوية تسعة وخمسون أطما .[١]

(٣) اصول بيت المال للباحث ،ص ٦٣،مكتبة الأجيال،سلطنة عمان.

(١) الأطام،الحصون المرتفعة،والظاهر إنها كانت مثل الحجر العمانية،فان الحجرة العمانية هي مجموعة مساكن متصل بعضها ببعض ويحوط بها سور ولها مداخل.

كما انهم كانوا يشكلون نيفا وعشرين قبيلة[٢]،اكبرها القبائل الثلاث وهي بنو قينقاع وبنو النضير،وبنو قريضة،أما بقية القبائل فهم مختلطون مع بطون الأوس والخزرج من العرب.

دستور المدينة.

وبعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كتب عليه الصلاة والسلام كتابا بين المسلمين واليهود،أقر التعايش السلمي المشترك بين أهل المدينة من مسلمين ويهود، وقال ابن اسحاق((وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار،وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم،وشرط لهم واشترط عليهم)).

وهذا الكتاب هو الذي سماه المؤرخون الصحيفة،ويسميه المعاصرون وثيقة المدينة أو دستور المدينة،وهي أول وثيقة تعنى بشوون المواطنة وحقوقها،وقد قسمها المفكرون المعاصرون الى مواد دستورية.[٣]

الإنصاف الإسلامي لليهود.

وفي اطار هذه الوثيقة أو الصحيفة ومن خلال الآيات القرآنية الشريفة،تعايش المسلمون واليهود في المدينة النبوية المنورة وكان القرآن ينزل ويعطي كل ذي حق حقه،دون النظر الى اللون أو الجنس أو العرق أو الدين يقول الله عز وجل((**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**))لنساء/٥٨ ﴾

(٢) السمهودي،علي بن أحمد، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى،ج١،ص١٣٢،دار الكتب العلمية.

(٣) معالم السيرة النبوية،للباحث،ص ١٤٨، مكتبة الضامري،سلطنة عمان.

وقد دافع القرآن الكريم عن يهودي أراد بعض المسلمين وهم بنو أبيرق أن يلقوا إليه تهمة سرقة حدثت لبعض الناس،فأنزل الله تسع آيات بينات تدافع عن اليهودي،وتحذر النبي صلى الله عليه وسلم من الميل والانحياز الى المسلمين ضد اليهودي،وسمى الله اولئكم المسلمين السارق وجماعته بالخائنين،وتلك الآيات الكريمات التي نزلت في ذلك هي قوله تعالى((إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿النساء/١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿النساء/١٠٦﴾ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿النساء/١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿النساء/١٠٨﴾ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿النساء/١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿النساء/١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿النساء/١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿النساء/١١٢﴾ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ

وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿النساء/١١٣﴾)) .

فاي إنصاف أكبر من هذا الانصاف،وأي معاملة أفضل من هذه المعاملة .

إنه الاسلام الحنيف العظيم الذي وسع الناس رحمة وعدلا .

وهكذا نجد التعايش الاسلامي اليهودي المشترك قائما على ساق ثابته،لولا أن نقض اليهود ما في صحيفة المدينة،من موادعة وتفاهم وتنسيق،فكان أن نقضها أولا بنو قينقاع،ثم تلاهم بنو النضير،ثم بنو قريظة،حتى أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة،الى خيبر والى أذرعات بالشام،وهم بنو قينقاع وبنو النضير،أما بنو قريضة فقد حكم فيهم بالقتل فقتلوا،لان خيانتهم ضد المسلمين كانت كبيرة .

غير أنه بقى هنالك بقايا من اليهود الذين كانوا مرتبطين ببطون الانصار،الاوس والخزرج.

واعتبرهم المسلمون أهل ذمة[١]،لهم حقوق المواطنة كاملة، لهم ما لسائر المواطنين وعليهم ما عليهم،مقابل أخذ الجزية منهم لحمايتهم والالتزام بمنع الاعتداء عليهم .

(١) يكره حاليا غير المسلمين المواطنين،والمقيمين في بلاد المسلمين وصفهم بأهل الذمة،مع ان مصطلح أهل الذمة يحمل الكثير من المعاني الايجابية تجاههم،على اعتبار أن ذمة المسلمين مشغولة بحمايتهم وتوفير الأمن والاستقرار لهم ودفع الظلم عنهم.

ولقد كان موقف الاسلام حساسا من التقصير في شأنهم،فقد حدث أن رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رجلا يهوديا طاعنا في السن يتكفف الناس في شوارع المدينة،فسأله الخليفة عن حاجته وشأنه فأجابه بانه على فاقة من الأمر وليس عنده ما يقيم به حياته من مال،هنالك قال الخليفة كلمته الخالدة المنصفة العظيمة،ما أنصفناك إذا اخذنا منك الجزية وأنت شاب مقتدر،ونضيعك وانت كبير في السن،فأخذه وأمر باجراء عطاءله من بيت المال[٢] .

وقد عاش اليهود في بلاد المسلمين طوال التاريخ الاسلامي دون أن يتعرضوالأذى،لحماية الاسلام لهم،طالما أن تحركاتهم في إطار النظام الاسلامي العام.

ومن المعلوم أن مسلمي البلقان كان لهم الفضل في حماية اليهود من النازيين في أروبا .

اليهود في عمان.

أما في عمان فقد عاش اليهود الذين كانوا يأتون للتجارة إليها في بعض الفترات التاريخية الاسلامية ويقيمون بها مع العمانيين جنبا الى جنب في إطار الاحترام المتبادل والاستقرار المعيش.

ومن المعلوم أنه توجد لليهود مقبرة في صحار[٣] ،مما يدل على اقامتهم بها واستيطانهم إياها في فترة تاريخية ما ،وأخبرني شيخنا العلامة الجليل احمد بن حمد الخليلي أنه اطلع

---

(٢) أبن سلام،ابو عبيد القاسم،الأموال،ص ٥٧،دار الفكر،بيروت،لبنان.

(٣) توجد في صحار مقبرة صغيرة مما يدل على أنهم كانوا جالية صغيرة ،ولعل وجودهم بصحار إبان ازدهارها الاقتصادي والتجاري منذ قبل الاسلام وحتى القرن السادس الهجري،وبعد ذلك الحركة التجارية الى قلهات في القرنيين السابع والثامن للهجرة،الثالث عشر والرابع عشر للميلاد،وبعد ذلك أنتقلت الحركة التجارية الى مسقط.

على صكوك شرعية عمانية فيها إقرار أشخاص من اليهود،بصيغة أقر فلان بن فلان الاسرائيلي.[١]

بيد أن وجودهم بعمان كان متقطعا،فكانوا يوجدون فيها بين الفينة والأخرى لأن مجيئهم كان للتجارة،وحسب الظروف الاقتصادية لعمان والعالم،وفي العهود الأخيرة انحصر وجودهم في مسقط باعتبارها العاصمة السياسية والتجارية لعمان،ويذكر روبرت جيران لاندن أن هناك عدداً من اليهود بين عهدي السلطان سعيد بن سلطان والامام عزان بن قيس كانو موجودين في مسقط يعملون في الصناعة[٢]،وإلى عهد قريب،كان هناك شخص واحد بقى منهم واسمه سلمان إلا أنه مات ولم يخلف عقبا،وكان يتنقل بين مسقط وبوشر[٣]،ولعله كان يخفي يهوديته ويظهر الاسلام،أو أنه،صار مسلما حقيقة،لأني سمعت أنه تزوج امرأة عمانية مسلمة،والعلم عند الله.

وكان اليهود في عمان يتداخلون ويتزاورون مع جيرانهم المسلمين،وكان الشيخ موسى بن علي العزري[٤]،وهو من أئمة العلم وكبار العلماء،له جار يهودي وقد دعا اليهودي الشيخ موسى يوما ما إلى زيارته،فزاره الشيخ ومعه عدد من الأشخاص،وأعد لهم ذلك اليهودي طعاما فاكلوامنه ،ما عدا الشيخ موسى فانه لم يأكل منه،لعله لظرف صحي لكنه أمر أصحابه بالأكل[٥].

---

(١) تلك الصكوك طبعا منها لهم فيها الحقوق ومنها عليهم.

(٢) عمان مسيرا ومصيرا،ترجمة محمد أمين عبدالله ص ٩٩ ،وزارة التراث والثقافة.

(٣) أخبرني بهذا الشيخ القاضي هاشم بن عيسى الطائي، وقد عمل الشيخ المذكور قاضيا على سمائل وفي مسقط ،ثم عين مدرسا بمعهد القضاء الشرعي وتوفي سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م وكان الشيخ هاشم أدرك سلمان هذا.

(٤) هو شيخ الاسلام والمسلمين ومرجع الفتيا والقضاء على عهد الامامين عبد الملك بن حميد والمهنأبن جيفر،ولد سنة ١٧٧هـ وتوفى سنة ٢٣١هـ.

(٥) السالمي عبدالله بن حميد،معارج الأمال،ج٣، ص٣٣٢، وزارة التراث والثقافة.

وقد منحهم العمانيون العدل والإنصاف في التعامل بينهم وبين المسلمين وغيرهم،وقد حدث أن يهوديا كان في بلدة منح بالمنطقة الداخلية من عمان،وكانت له أمة مسلمة،وذلك على عهد دولة الامام محمد بن أبي عفان اليحمدي(١٧٧-١٧٩هـ)،ولما علم الامام باسلامها أمر ببيعها من عند اليهودي،فلجأ اليهودي الى العلامة الكبير موسى بن أبي جابر[١]الذي كان المرجع العام للدولة،فأمر بردها الى اليهودي،فاعترض عليه الامام قائلا:ياأبا علي،أرأيتك إن أخذ برجليها فمن يمنعه منها وهو مملوكته[٢]،وهي مسألة خلافية بين علماء المذهب،فان منهم من يرى عدم جواز وجود أمة مسلمة في ملك أهل الكتاب وان كانوا أهل ذمة،ومنهم من يفرق بين الذكور والإناث من المماليك فأجازوا ذلك في الذكور ومنعوه في الإناث،ومنهم من أجاز ذلك بشرط عدم تحويلهم عن إسلامهم إلى غير ذلك من الاقول الفقهية المختلفة.

ولعل العلامة الكبير اشترط على ذلك اليهودي عدم تحويل تلك الأمة عن إسلامها وألا يفترشها يستعملها جنسيا .

والقصة تدل على وجود يهودي قديم بعمان،حتى إنهم كانوا موجودين بالمنطقة الداخلية منها،كما تدل على دقة إقامة العدل وإعطاء الإنصاف للجميع بمختلف طوائفهم وأطيافهم وأجناسهم وألوانهم.

وقد يستغرب وجود يهودي بمنح من المنطقة الداخلية من عمان،ولا غرابة في ذلك لأن منح كانت عاصمة الدولة العمانية على عهد الامام محمد بن ابي عفان،وبداية إمامة

(١) هو موسى بن أبي جابر الضبي السامي الازكوي،أحد حملة العلم الى عمان،حمل العلم عن الامامين ابي عبيدة مسلم والربيع بن حبيب،قامت على فكره دولة الامامة الثانية،التي كان أول الأئمة بها محمد بن أبي عفان اليحمدي.

(٢) الشقصي،خميس بن سعيد،منهج الطالبين،ج١٤،ص١٦٣، وزارة التراث والثقافة.

الوارث بن كعب قبل أن تكون نزوى هي العاصمة،ومن شأن العواصم أن تضم أطيافا من الناس،مختلفي الأديان والمذاهب والأعراق والألوان.

المحور الثالث

التعامل مع المسيحيين

المسيحية في الجزيرة العربية.

تعتبر المسيحية أو النصرانية قليلة الوجود في الجزيرة العربية،على العكس من الوجود اليهودي،فان اليهود كانوا اكثر وجودا بها عدا وجود مسيحي في نجران بجنوب الجزيرة العربية، وفي رائي أن وجودهم بنجران كان نتيجة احتلال الحبشة النصارى لليمن،وعدا وجود مسيحي في الطرف الشمالي للجزيرة العربية،وفي رائي أن ذلك من قبل تأثرهم بعرب الشام الذين كانوا خاضعين لدولة الروم المسيحية.

وقد بدأت علاقة الاسلام بالمسيحيين منذ هجرة عدد من الصحابة رضوان الله عليهم الى الحبشة بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم قائلا:إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ،وهناك تعرف النجاشي والحبشة على الاسلام من خلال المسلمين،وبالتحديد من المحاورة التي دارت بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب،التي أوضح فيها جعفر مبادئ الاسلام وخطوطه العريضة للنجاشي بحضور عدد من أكابر الحبشة.

الوفود النصرانية.

لذلك جاء وفد الحبشة المكون من عشرين شخصا أو أكثر الى مكة لمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم وللتعرف على ما جاء به من دين عن قرب،ولما أخبرهم عليه

الصلاة والسلام عن الاسلام وتلا عليهم شيئا من القرآن فاضت أعينهم دموعا ،يقول الله جل شأنه في ذلك((وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿القصص/٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿القصص/٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿القصص/٥٣﴾ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿القصص/٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿القصص/٥٥﴾)) .

وذلك لأن قريشا أردوا أن يصدوهم عن التعرف على الإسلام حتى لا يتاثروا به ويدخلوا فيه.

وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بقليل جاء وفد نصارى نجران[1] ودار بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم نقاش طويل وجدال كبير إلى أن أقتضى الامر بأن دعاهم عليه الصلاة والسلام الى المباهلة،ولكن أمتنعوا،لنصيحة كبيرهم قائلا لو باهلتم لما بقى على وجه الأرض نصراني،لعلمه بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل حاكيا ذلك المشهد،ورادا على إدعاء النصارى في شأن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام حيث يقول((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿آل عمران/٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿آل عمران/٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿آل عمران/٦١﴾إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿آل عمران/٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿آل عمران/٦٣﴾))ز

(١) حول هجرة المسلمين الى الحبشة،وحول مجيء وفود نصارى الحبشة ونجران،يرجع إلى كتاب سيرة ابن هشام.

وقد حسم الله عز وجل الموقف بين الاسلام والمسيحية أوموقف الاسلام من المسيحية بدعوة المسيحيين الى الكلمة السواء،ومعنى السواء العدل والنصفة،وهي كلمة التوحيد التي لا يختلف حولها الانبياء والرسل،ولا الأديان الربانية،وهي كلمة ((**لا إله إلا الله**))الدالة على وحدانية الله وتنزيهه وتقديسه، يقول الله في ذلك((**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴿آل عمران/٦٤﴾))[٢] .

وتقتضى الكلمة السواء، التي هي كلمة التوحيد أنه،لاعبادة لغير الله،ولا شريك لله،ولا اتخاذ غيرالله أربابا ،فهذه اللاءات القرآنية الثلاث،هي التي تشكل الاطار الذي يجب أن تلتقي فيه الديانات الربانية أو السماوية،ومنه ينطلق التفاهم الاسلامي اليهودي المسيحي،على اعتبار أن هذه اللاءات هي القاسم المشترك بين هذه الأديان.

إن هذه اللاءات القرآنية الثلاث هي دلالات لفظية تحمل معنى الالتزام بعبادة الله عز وجل وتوحيده الإقرار له بالربوبية.

وبعد إعراض نصارى نجران عن المباهلة وتخوفهم منها ،طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرهم على دينهم،وأن يرسل معهم رجلا أمينا ليحكم بينهم فيما اختلفوا عليه وتنازعوا فيه من الأموال والحقوق فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح،ومنذ ذلك سمي أمين الأمة بعد أن اشرأبت أعناق غيره من الصحابة إلى هذه المنزلة،وأقرهم صلى الله عليه وسلم على دينهم وكتب لهم في ذلك عهدا .

(٢) يرجع في تفسير الآيات من ٥٩-٦٤ من سورة آل عمران، إلى الكشاف للزمخشري ، وتيسير التفسير للشيخ اطفيش.

عهدا النبي صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران

((بسم الله الرحمن الرحيم،هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نجران،اذا كان عليهم حكمه،في كل ثمرة وفي كل صفراء وبيضاءورقيق،فأفضل ذلك عليهم،وترك ذلك كله لهم،على الفي حلة من حلل الاواقي،في كل رجب الف حلة،وفي كل صفر ألف حلة،كل حلة أوقية من الفضة،فما زادت على الخراج،أو نقصت عن الأواقي فبالحساب،وعلى نجران مؤونة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين يوما فما دون ذلك،ولا تحبس رسلي فوق شهر،وعليهم عارية ثلاثين درعا،وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا إذا كان كيد باليمن ومعرة،وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض فهو ضمين على رسلي حتى يؤدوه اليهم،ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم،وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته،وليس عليهم ربية ولا دم جاهليه ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش،ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين،ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه برئيه،ولا يؤخذ رجل منهم بظلم

آخر،وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله،حتى يأتي الله بأمره،ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مثقلين بظلم[١]))

كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم أهل إيلة(إيلات)وأهل دومة الجندل وأهل أذرح،وأهل الجرباء،وهم مسيحيون عهودا أثناء مسيره الى غزوة تبوك،أقرهم فيها على ديانتهم المسيحية.[٢]

العهدة العمرية.

ويواصل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب المسيرة المباركة في إقرار النصارى على دينهم وإعطائهم حقوقهم المشروعة إسلاميا من تعهدات والتزامان بضمان ذلك لهم،مقابل التزامهم بما عليهم من حقوق وواجبات في النظام الإسلامي العام،حيث أعطى أهل القدس عهدا بذلك وكتب لهم ما عرف فيما بعد بالعهدة العمرية[١]،جاء فيها((**بسم الله الرحمن الرحيم،هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء[٢]من الأمان،أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولا تهدم،ولا ينقص منها ولا من**

(١) الحيدر أبادي،محمد حميد الله،مجموعة الوثائق السياسية،ص ١٧٤،دار النفائس،بيروت.

(٢) معالم السيرة النبوية،للباحث ،ص ٢٣٢.

(١) العهدة هي وثيقة العهد.

(٢) إيلياء هي القدس أو بيت المقدس.

حيزّها،ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم،ولا يكرهون على دينهم،ولا يضار أحد منهم،ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود،وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن،وعليهم أن يخرجوا منها الروم وللصوت[٣]،فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم،ومن أقام منهم فهو آمن،وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية،ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم،وما كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان،فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية،ومن شاء سار مع الروم،ومن شاء رجع إلى أهله،فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم،وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزيه))[١]

(٣) اللصوص.

(١) تاريخ الطبري،ج ٣،ص ٦٠٩،تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم.

التعامل العماني المسيحي إسلاميا .

لا نستبعد أن يكون هناك وجود مسيحي في عمان،ولا سيما في عهد دولة اليعاربة التي توسعت خلالها علاقة عمان بالخارج،ولكن المصادر لم تتحدث عن ذلك الوجود،سوى ما ذكره الرحالة الالماني،انجلبرت كيمبفر،وهو أول رحالة أروبي يزور عمان في العصر الحديث،فقد ذكر وجود تاجر أرميني في مسقط،واسمه فانيسيان، وإنه كان مسموحا له ممارسة شؤونه التعبدية حسب ديانته،وقال إن له رفقاء أرمينيين آخرين[١] ،والظاهر أنهم كانو على الديانة المسيحية.

غير أن التعامل العماني المسيحي إسلاميا كان من خلال جزيرة سقطرى[٢] ،فقد اتفق الامام الجلندى بن مسعود (١٣٢-١٣٤هـ)[٣] مع سكانها النصارى على كيفية أخذ الجزية منهم [٤] . مما يدل على تبعية الجزيرة للدولة العمانية منذ عهد قديم ولعل تلك التبعية تعود إلى ما قبل الإسلام،فإن الامام الجلندى وجدها في التاريخ الآنف الذكر،ضمن المساحة الجغرافية للدولة العمانية.

---

(١) جريدة عمان،ملحق شرفات،العدد ٢٤٣.

(٢) جزيرة في بحر العرب.

(٣) هو أول أمام بعمان،ويعتبر مؤسس دولة الامامة في عمان.

(٤) الكندي،محمد بن ابراهيم،بيان الشرع،ج٦٩،ص٨٠،وزارة التراث والثقافة.

وعلى عهد الامام الصلت بن مالك الخروصي(٢٣٧-٢٧٢هـ) تجلت العدالة الإسلامية تجاه النصارى أهل سقطرى بكل معانيها في العهد (الوثيقة) الذي زود به الحملة العسكرية التي وجهها لاسترجاع سقطرى،بعد نكث النصارى العهد مع العمانيين على عهد ذلكم الامام،حيث هجموا على الحامية العمانية فقتلوا الوالي وعددا من الجنود العمانيين،هنالك وجه الإمام الصلت بن مالك إليهم حملة عسكرية على مائة سفينة أو أكثر،وزودهم بعهد (وثيقة) بين لهم أحكام الاسلام مع أهل الكتاب في الحرب والسلم واوضح لهم الجائز وغير الجائز من الاحكام في حربهم معهم،ويعتبر هذا العهد من أفضل ما كتب عن الحرب والسلم في الإسلام.

من عهد الإمام الصلت بن مالك .

جاء فيه((**فافعلوا من ذلك ما اجتمع عليه رأيكم من بعد مشورة أهل الخبرة بذلك،ممن ترجون بركة رايهم وفضل معرفتهم،فإذا أرسلتم إلى أهل السلم والعهد ،فأعلموهم مع رسلكم أنهم آمنون على أنفسهم ودمائهم وحريمهم وذراريهم وأنكم وافون لهم بالعهد والذمة والجزية على الصلح الذي يقوم بينهم وبين المسلمين فيما مضى،ولا ينقض ذلك ولا يبدله،ومروهم باحضار جزيتهم إليكم واختاروا إليهم رجالا من خيارهم من يثبت**

إلى الصلاح منهم،فوجهوهم إلى هؤلاء الناقضين لعهدهم،الناكثين على المسلمين ببغيهم،واجعلوا ممن توجهون رجلين صالحين ممن يوثق بهم من أهل الصلاة (المسلمين)فإن لم يمكنكم بعث اثنين صالحين من أهل الصلاة (المسلمين) فواحد ،فتأمروهم أن يصلوا إلى الذين نقضوا العهد ،فتدعوهم عن لساني وألسنتكم إلى الدخول في الإسلام،وإقام الصلاة،وإيتاء الزكاة،مع حقوق الله،والانتهاء عن معصيته،فإن قبلوا ذلك فهي أفضل المنزلتين لهم،وذلك يمحو ما كان من حدثهم،لأن الله يقول في المحكم من كتابه((فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿التوبة/٥﴾))وإن كرهوا أن يقبلوا الإسلام ويدخلوا فيه،فلتدعوهم إلى الرجعة من نكثهم والتوبة من حدثهم إلى الدخول في العهد الأول الذي كان بينهم وبين المسلمين على أن لهم وعليهم الحق بحكم القرآن من أولي العلم بالله وبدينه من أهل عمان ممن نزل إليهم أمر المسلمين،فإن أجابوا وتابوا فلتقبلوا ذلك منهم،ولتأمروهم بترك ما في أيديهم وأيدي أصحابهم من أهل الحرب من نساء مسلمات ثم لا يتزوج رسلكم من عندهم حتى يقدم معهم رؤساء أهل الحرب ويسلموا إليهم النساء المسلمات اللاتي سبوهن،واجعلوا لرسلكم أجلا في رجعتهم لمن

أجابهم،وبالسبايا إلى ذلك الأجل أن لا تظلموهم ولا تخادعوهم ولا تماكروهم بالمطل والتواني في ذهاب الأيام،فإن وصلوا إليكم بمن أجابهم من أهل الحرب وقد أستسلموا وتابوا من حدثهم وجاؤا بالنساء المسلمات فاقبلوا ذلك منهم،ولا تعرضوا لأحد ممن جاءكم تائبا مستأمنا مستسلما بسفك دمه ولا انتهاك حرمته ولا سبي ذريته ولا غنيمة ماله،وليكونوا مثلكم آمنين،واحفظوهم ألا يرجعوا الى هرب من أيديكم،وتأمروهم أن يرسلوا إلى من وراءهم من أصحابهم أن يلقوا بايديهم إلى ما ألقوا هؤلاء بأيديهم،وتأمروهم أن يبعثوا إلى من وراءهم باحضار جزية هولاء الذين قد أمنتموهم الماضية،ولا يعلموا بما تريدون فيهم،فإن جاء الذين وراءهم كما جاء هولاء وألقوا بأيديهم فاقبلوا ذلك منهم،وخذوا جزية من وصل إليكم منهم،وإما من تمرد وأراد أن يبعث بجزيته ويقيم في منزله على حدثه فلا تقبلوا ذلك منهم،ومن صار منهم إلى أمانكم وعهدكم فليكونوا في أسركم آمنين،وأحسنوا إليهم في طعامهم وشرابهم،وامنعوهم ممن أراد ظلمهم حتى توصلوهم إليّ والى المسلمين إن شاء الله تعالى.

إلى أن قال :

وإذا التحمت الحرب بينكم وبينهم فلا تقتلوا صبيا صغيرا،ولا شيخا كبيرا ولا إمراة،إلا شيخا أو امرأة أعانوا على القتال،وما قتلتموه عند المحاربة،فلا تمثلوا به،فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة،وكذلك ما أخذتم من الجزية فادفعوا إليّ، وأما إن كان فيه شيء من الصدقات على أحد من أهل الصلاة (المسلمين) فقبضتموه ففرقوا ثلثة على فقراء البلد بالإجتهاد منكم في ذلك،وارفعوا إليّ ثلثيه))[1] .

وهو عهد طويل،وهو يدل على أن نصارى سقطرى لم يكونوا كلهم نقضوا العهد ،وإنما كان هناك قسم منهم بقي على عهده للمسلمين،ولعله كان هناك هجوم نصراني حبشي على

الحامية العمانية بهدف إحتلالها وأخذها من المسلمين،وهو من ينقله الشيخ أبو اسحاق اطفيش عن محمد علي الزرقا من كتابه (عمان)[2] .

إلا أن محمد علي البار ذكر أن الأحباش أغروا نصارى سقطرى وأمدوهم بالسلاح والرجال فنقضوا العهد وقتلوا والي الإمام الصلت بن مالك الخروصي[3] .

---

(١) تحفة الاعيان،ج١،ص ١٦٨-١٨٣.

(٢) التحفة،ج ١،ص ١٦٦،هامش.

وعلى العموم فقد نجحت الحملة العسكرية العمانية،في هزيمة الناكثين واستعادة الجزيرة،وعادت سقطرى إلى حضيرة الدولة الإسلامية العمانية وتعايش المسلمون والمسيحيون فيها منذ ذلك التاريخ على خير وئام وأفضل مرام،حتى أنهم رفضوا التعاون مع البرتغاليين والصليبيين،وتعاونوا مع المسلمين في مواجهة البرتغاليين،الأمر الذي جعل البرتغاليين ينسحبون منها[٤] .

المحور الرابع
التعامل مع المجوس والهندوس

التعامل مع المجوس:

المجوس كلمة فارسية،نسبة إلى موكوس رئيس لهم كان شعر أذنيه كثيفا ،ثم عرب إلى موجوس،ثم أسقطت الواو لكثرة الاستعمال فقيل مجوس،وهي ديانة أهل فارس منذ القدم وحتى ما قبل الإسلام،وهم يعبدون النار،وقد أنتشرت معابد النار في أقاليم خراسان وفارس،وصار لها بيوت مشهورة،وقد تفرعت عن المجوسية فرق عديدة تصل إلى سبعين فرقة،منها الزرادشتية وهي أشهرها ،والمانوية والماثنوية والكيومرتية والمزدكية وغيرها ،وفلسفة الديانة المجوسية والفرق المنبثقة عنها تدور حول النور

(٣) معاملة غير المسلمين،ص ٨٢،دار القلم،دمشق.

(٤) نفس المصدر،ص ٩٨-١٠٥.

والظلمة[1]،على اعتبار أن النور أصل الخير أو إله الخير،وأن الظلام أصل الشر أو إله الشر لذلك يقول أبو الطيب المتنبي:-

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

ويدعون أن لهم كتابا سماويا أو ربانيا ،بل وتدعي الزرادشتية أن زرادشت كان نبيا مرسلا[2] .

وينفى الإمام العوني أن يكونوا أهل كتاب بقوله((**والدليل على أن لا كتاب لهم،قول النبي صلى الله عليه وسلم،سنوا بهم سنة أهل الكتاب،ولو كان لهم كتاب ما قال النبي صلى الله عليه وسلم،سنوا بهم سنة غيرهم من أهل الكتاب،والدليل الثاني،على أن لا كتاب لهم،فإن النبي صلى الله عليه وسلم،لما كتب إلى قيصر،كتب:يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم. . .الآية،وكتب إلى كسرى:من محمد رسول الله إلى كسرى،وفي هذا دليل على أن كسرى ليس من أهل الكتاب،وكسرى مجوسي**[1]))

وقد عامل الإسلام المجوس معاملة أهل الكتاب لقول الرسول صلى الله عليه وسلم،سنوا بهم سنة أهل الكتاب[2] .

وهل لشبهة الدعوى بأنهم أهل الكتاب،عاملهم الإسلام معاملة أهل الكتاب(اليهود والنصارى) ؟أم أن هناك أمرا ما ؟عاملهم الإسلام به على ذلك ؟وهل التسنين بمعاملتهم كأهل الكتاب،هو في قبول الجزية منهم فقط ؟ أم في كل ما يعامل به أهل الكتاب ؟

---

(١) القلهاتي،محمد بن سعيد،الكشف والبيان،ج ٢،ص٢٦٥،وزارة التراث والثقافة.

(٢) الخليلي،أحمد بن حمد،شرح غاية المراد،ص ١٥٥،مكتبة الجيل الواعد.

(١) العوتبي،سلمة بن مسلم،الضياء،ج٣،ص١٢٩،وزارة التراث والثقافة،وانظر،القلهاتي الكشف والبيان،ج٢،ص٢٦٥.

(٢) الأموال ص ٤٠.

أما القول بنجاستهم فهناك خلاف بين المذاهب الإسلامية،وفي المذهب الإباضي خلاف في ذلك فقد نقل العوتبي قول أبي الحسن[٣]الذي يقول فبين اصحابنا في اختلاف أنجاس المجوس وجميع أحوالهم ولعل هذا الاختلاف جعل بعض العلماء العمانيين،لا يرى نجاسبتهم كما سياتي.

كما أن في تزوج نسائهم،وأكل ذبائحهم اختلافا أيضا بين علما الأمة،لان زيادة الحديث القائلة،غير ناكحي نسائهم،ولا آكلي ذبائحهم ،لم تصح عند المحدثين[٤].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ الجزية من مجوس هجر[٥]،وكان الخليفة عمر بن الخطاب همّ أن يعاملهم معاملة مشركي العرب،ولم يأخذ الجزية منهم،حتى شهد له عبد الرحمن بن عوف بانه عليه الصلاة والسلام أخذها من مجوس هجر،لان الخليفة كان متحفظا عن أخذها منهم قائلا:ما أدري ما أصنع بالمجوس وليسوا أهل كتاب،فقال عبد الرحمن بن عوف،سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب،من هنالك قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر،وعمر أخذها من مجوس فارس،وعثمان أخذها من البربر[١] ،فاصبح ذالك تشريعا إسلاميا ،لذلك يقال أن الجزية مأخوذة من أهل الكتاب بالتنزيل ومن المجوس بالسنة[٢]، وعلى الصحيح أن البربركانو وثنيين ولم يكونوا مجوسا ،وهذا يدل

(٣) الضياء،ج٣،ص١٣٨،ولا ندري من هو ابو الحسن؟ولعله أبو الحسن البسيوي.

(٤) القرضاوي،يوسف ،الحلال والحرام في الإسلام،ص ٥٧،مكتبة وهبة القاهرة.

(٥) هي الاحساء ، بالمملكة العربية السعودية.

(١) القاسم بن سلام،كتاب الاموال،ص ٤٠،دار الفكر،بيروت.

(٢) نفس المصدر،ص ٤٤.

على أن الوثنيين من الاعاجم وأصحاب الديانات الوضعية الأخرى يعاملون معاملة أهل الكتاب كالمجوس.

على أن المسلمين أكتفوا بأخذ الجزية من المجوس وإقرارهم على دياناتهم وممارسة طقوسهم، فان أمير المؤمنيين أخذ منهم الجزية بخبر عبد الرحمن بن عوف ولم يسأل عما وراء ذلك،أي تركهم وشأنهم على عبادتهم،دون التدخل في ذلك،وعندما سئل الحسن البصري عن نيران المجوس لماذا تركت،أجاب بالقول،على ذلك صولحوا[٣].

المجوس في عمان .

نظرا لقرب المجوس من عمان،حيث القرب الجغرافي بين عمان وفارس فانه كان يوجد بعمان بعض المجوس،ولعل ذلك كان على فترات تاريخية متقاربة أو متباعدة حسب الظروف والاحوال.

ومما يدل على وجودهم بعمان ما جاء،أن الفضل الحواري[٤]،دخل على زياد بن الوضاح[٥]،ومجوسي يأكل معه،وهما يصطبغان من إناء واحد[٦]،فهذا يدل على وجود المجوس بعمان،وعلى طهارتهم،وذلك في القرن الثالث الهجري.

الهندوس.

(٣) المصدر نفسه،ص ٤٥.

(٤) هو الفضل بن الحواري السامي الأزكوي ، فقيه كبير من علماء عمان في القرن الثالث الهجري،من أتباع المدرسة الأزكوية التي عميدها أبو جابر محمد بن جعفر،قام بنصب الحواري بن عبدالله الحداني إماما متجاوزا إمامة الامام عزان بن تميم ،وقتل هو والحواري بمعركة القاع من عوتب صحار سنة ٢٧٨هـ،وكان يقال ان الفضل بن الحواري وعزان بن الصفر في عمان كعينين في جبين واحد لعلمهما وفضلهما.

(٥) هو زياد بن الوضاح ،عالم وفقيه من أسرة علمية عرفت بالعلم والفضل ،وهو من نزوى عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري،وكان من العلماء المرابطين في دما (السيب) حيث كان واحدا من المجتمعين فيه للنظر في قضية القول بخلق القران وذلك في عهد الامام المهنأ بن جيفر،(٢١٦-٢٣٧هـ.

(٦) منهج الطالبين،ج ٣ ،ص ١٦٥.

الهندوس نسبة الى الديانات الهندية أو الهندوسية أو الهندوكية،وهي من الديانات القديمة جدا،وهي ديانة غالب أهل الهند ،ولهذه الديانة كتب عديدة أهمها كتب الويدا،وقد تفرعت عن الديانة الهندوسة ديانات أخرى كالجينية والبوذية والكونفوشيةوقد مرت الديانة الهندوسية بمراحل من التطور حتى وصلت إلى ما وصلت إليه،والى أن استقرت على الحال الذي هي عليه[١] .

ونظرا لقرب الهند من عمان والجزيرة العربية والخليج العربي،فقد صار لهم وجود قوي وقديم منها حتى أنهم امسكوا بالتجارة في بلدان الجزيرة العربية ومنها عمان،ومنهم من نسب الديانة الهندوسية إلى نهر الاندوس بالسند[٢]،من شبه القارة الهندية والظاهر أن المسلمين أثناء الفتوحات الإسلامية للهند ومناطق جنوب أسياء،عاملوهم معاملة المجوس وأهل الكتاب حيث قبلوا الجزية منهم وأقروهم على ما هم عليه من أديانهم.

وقد أستوطن الكثير من الهنود عمان والخليج،وسماهم أهلها باسماء مختلفة،كقبائل أعجمية يعرفون بها ،مثل الزط والاساورة والسيابجة والأحامرة والميد والبياسرة[٣]،وغيرهم

---

(١)شلبي ،احمد،أديان الهند الكبرى،ص ٤٠،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة.

(٢) القاسمي،نوره محمد،الوجود الهندي في الخليج العربي،ص٦٥، دائرة الثقافة والاعلام،الشارقة.

(٣) نفس المصدر.

،والظاهر أن هذه الأسماء سموا بها في بلدان الجزيرة العربية،ولم تكن لهم في بلدانهم في الهند والسند .

الهندوس في عمان.

يرجع الوجود الهندي الهندوسي في عمان إلى وقت بعيد نظرا لقرب المسافة بين عمان والهند ،حتى تكونت منهم جالية هندية هندوسية سموا بالبانيان ويذكر مايلز،إنه وجد معبدا هندوسيا في قرية قلهات،قال إنه يعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي،أي إلى القرن التاسع الهجري[1]، ولعل وجودهم صار في ازدياد على عهد الوجود البرتغالي في عمان،حيث أحضروا عددا منهم إلى عمان،ولفظة البانيان هي تحريف لكلمة بهاتيا ،وهي اسم إحدى الفئات التجارية في الهند ،اقترن تاريخها بالاتجار مع الخارج،وهناك من يرى ان اسم البانيان،مأخوذ من كلمة بانيا ،وهي كلمة مأخوذة بتصحيف من اللغة السنسكريتية،وأيضا معناها التاجر[2]،وملخص ذلك أن البانيان هم التجار .

ونظرا لوجودهم في عمان فان الحكم الشرعي تجاههم،اعتبرهم مثل المجوس،فاعطوهم عهد الأمان،وأخذوا منهم الجزية،يدل على ذلك إن الامام سلطان بن سيف اليعربي(١٠٥٩-

(١) القاسمي،نورة محمد،الوجود الهندي في الخليج العربي،ص ٦٧.

(٢) نفس المصدر،ص ٦٤،وروبرت لاندن،عمان مسيرا ومصيرا،ص ١١٧.

١٠٩٠هـ) أعفى نروتم وسكبيله وجماعتهم من البانيان من الجزية نتيجة لتعاون الرجلين المذكورين مع المسلمين في حربهم مع البرتغاليين في مسقط التي انتهت بإخراج البرتغاليين منها[٣].

ولما سئل العلاّمة ابن عبيدان[١]،عن بضائع البانيان التي يقدمون بها من الهند الى عمان،اجاب بقوله((**وإذا قدمت بضائع أوردوهم من الهند الى مسكد[٢]يبلغ فيها النصاب للبانيان الذين هم سكان مسكد فلا زكاة عليهم فيما يقدم من أموالهم،إذا كانت تؤخذ منهم الجزية**[٣]

فاننا نجد في هذا الجواب ثلاثة اشياء:

١- تسميتهم البانيان.

٢- إنهم سكان مسقط.

٣-انهم تؤخذ منهم الجزية.

---

(٣) ابن رزيق، حميد بن محمد،الفتح المبين،ص ٢٩١، والقصة تحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر فيما إذا كانت تتفق مع وقائع المعركة ،أم لا؟

(١) هو محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان،كان مرجع الفتيا والقضاء على عهد الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي(١٠٩٠-١١٠٤هـ) وكان معارضا لعزل الإمام بلعرب عن الإمامة من قبل العلماء وأهل الحل والعقد.

(٢) هي مسقط،وسماها غيرالعرب مسكت،ثم سماها العمانيون مسكد.

(٣) السيابي،خلفان بن جميل،فصل الخطاب،ج١ ص وانظر،الحارثي،عبدالله بن سالم،حوارت فكرية،ص٩٤.

أي إنهم عوملوا معاملة المجوس،والمجوس عوملوا معاملة أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالسنة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم،كما قيل إن الجزية أخذت من أهل الكتاب بالقرآن،ومن المجوس بالسنة كما تقدم.

الخاتمة

عرفنا مما مرّ كيفية التعامل الإسلامي مع غيرالمسلمين من اليهود والنصارى،والمجوس وفرقهم وغيرهم من أصحاب الديانات الاخرى،كالهندوسية والحبينية والبوذية والكونفوشية الصينية.

وعرفنا أن الاسلام لم يقبل من مشركي العرب إلا الدخول في الإسلام،أو الاستعداد للحرب والقتل والقتال،لأن الله تعالى اختارهم لحمل رسالة الاسلام خاتمة الرسالات الإلهية،وكون آخر الأنبياء،محمد صلى الله عليه وسلم منهم،فاذا تخلفوا عن هذه المهمة العظيمة الشريفة فغيرهم سوف يتخلف عن ذلك،لذلك جاء قول الله تعالى((وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ))﴿الزخرف/٤٤﴾ .

أما أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فقد اكتفى منهم الاسلام بدفع الجزية مقابل حمايتهم من الاعتداء عليهم،ودفع الظلم عنهم،باعتبارهم أهل كتاب سماوي كالتوارة عند اليهود والانجيل عند النصارى،ولذلك أحل الله الزواج للمسلمين من

نسائهم وأحل ذبائحهم وأكل طعامهم،ومن هنالك قال جمهور الأمة الاسلامية بطهارتهم،أي طهارة ذواتهم.

وبالنسبة الى المجوس فجميع فرقهم التي أوصلها علماء الفرق الى سبعين فرقة، فان المسلمين قبلوا منهم الجزية بالسنة واتفاق الأمة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:سنوا بهم سنة أهل الكتاب،وأخذها من مجوس هجر،واخذها عمر بن الخطاب من مجوس فارس.

وأما غيرهم من أصحاب الديانات الاخرى،كالهندوس والبوذيين وغيرهم من وثنيي العجم،فالظاهر أن المسلمين عاملوهم معاملة المجوس فقبلوا الجزية منهم،فقد أخذها عثمان بن عفان من البربر وكانوا وثنيين.

ولعل ذلك لتشابههم في عبادة المخلوقات كالنار والحيوان والظواهر الكونية.

على أنه يبقى القول بطهارة مشركي العرب والمجوس والهندوس والبوذيين والكونفوشيين وغيرهم من وثنيي العجم،فان جمهو المسلمين على القول بطهارتهم،أي طهارة

ذواتهم،أما جمهور الاباضية فانهم يقولون بنجاستهم،أي نجاسة ذواتهم،مستدلين بالآية الكريمة(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) ((التوبة ٢٨)) .

غير أن هناك قولا في المذهب يقول بطهارتهم،معتبرا أن النجاسة المذكورة في الآية نجاسة معنوية وليست حسية،لخسة الشرك ووجوب النفرة منه،وعلل الامام ابن بركة هذا القول بالقول، لو كانت العين نجسة،لما تبدل ذلك بالاسلام[١] .

وفي رأيي إن هذا القول،أي القول بطهارة جميع المشركيين أو الوثنيين الذين هم غير أهل الكتاب،هو القول المناسب لهذا العصر الذي تقارب فيه العالم بعضه من بعض،وتقاربت فيه شعوب الأرض وارتبطت فيه مصالح البشر من أعمال وتجارة واقتصاد إلى غير ذلك من المصالح في دنيا الناس. لانه كما يقول الإمام محمد بن عبدالله الخليلي،الأخذ باضعف الأقوال لتغير الأحوال[٢]أولى، على أن قوة القول من ضعفه فقها ،إنما يرجع ذلك إلى البيئة المكانية والزمانية التي يعيشها الفقه واقعا .

وفقه الواقع المعيش يقتضي الأخذ بالأيسر من الأقوال.

---

(١)معارج الآمال،ج٣،ص٣٣١.

(٢) فتح الجليل من أجوبة أبي خليل،ص٢٦٢.

ومن المعلوم أن الكثير من العمانيين،ولعل من غير العمانيين يمتنعون عن استعمال خدم المنازل من غير المسلمين وأهل الكتاب،وكذلك يمتنعون عن الأكل من طعامهم في بلدانهم التي يسافرون إليها ،اعتمادا على القول القائل بنجاستهم،وهذا فيه من العنت والمشقة ما فيه،الأمر الذي يجعل بعض الناس من الهندوس والبوذيين يدّعون المسيحية لكي يقبلوا للعمل في المنازل.

قال الامام السالمي: وذهب أكثر قومنا وبعض أصحابنا إلى طهارة أبدان المشركين،بل حكى الفخر اتفاق الفقهاء الى ذلك،وإليه يميل أبو محمد[1] .

وعلى كل حال فهي مسألة رأي،ومسائل الرأي من الفروع ولا يقطع العذر فيها بالخلاف.

والله ولي التوفيق،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صحبه وسلم،وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين

احمد بن سعود السيابي

(١) معارج الآمال،ج٣،ص ٣٢٩